بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَفَاتٌ قَبْلَ وَدَاعِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ للهِ مُقَلِّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَمُجْرِي السِّنِينَ وَالأَعْوَامِ، حَدَّدَ لِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ نِهَايَاتِهَا، كَمَا وَضَعَ لَهَا بِدَايَاتِهَا، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَ الْمُخْـلِصِينَ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ بِالْغُفْرَانِ وَالْفَوْزِ بِالرَّحْمَةِ وَالْجِنَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ بِأَدَاءِ زَكَاةِ الأَبْدَانِ، تَزْكِيَةً لِلصَّائِمِينَ، وَفَرْحَةً لِلْمَسَاكِينِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، الْمُوَدِّعِينَ رَمَضَانَ بِالْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ، وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي – عِبَادَ اللهِ – بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا ذَاقَ امرُؤٌ طَعْمَ السَّعَادَةِ وَلا نَالَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾(١).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

مَا أَسْرَعَ جَرْيَ الأَيَّامِ – عِبَادَ اللهِ –، فَهَا نَحْنُ نَقْتَرِبُ شَيْـئًا فَشَيْـئًا مِنْ نِهَايَةِ الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَإِنْ كُنَّا فِي أَعْـظَمِ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ، فَيَا لَلّهِ مَا أَجْمَلَ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عَنْ هَوَاهَا طَاعَةً لِمَوْلاهَا، وَيَا لَلّهِ مَا أَلَذَّ مَذْقَةَ اللَّبَنِ وَشَطْرَ التَّمْرَةِ فِي فَمِ الصَّائِمِ بَعْدَ صَوْمِ يَوْمٍ طَوِيلٍ، وَيَا لَلّهِ مَا أَطْيَبَ صَلاةَ الْقِيَامِ بِالآيَاتِ الْعِظَامِ، فِي الْمَسَاجِدِ الْعَامِرَةِ، مَعَ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ وَالأَلْسِنَةِ الذَّاكِرَةِ، وَلا تُحَدِّثْنِي عَمَّا فِي جَوْفِ اللَّيْـلِ مِنْ سُمُوِّ الأَرْوَاحِ، وَلَذَّةِ المُنَاجَاةِ، أَوْ مَا فِي السَّحَرِ مِنْ رَوَائِعِ الأَذْكَارِ، وَعَبِيرِ الاستِغْفَارِ. فَالْحَمْدُ للهِ عَلَى مِنَّتِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَتَيْسِيرِهِ وَإِكْرَامِهِ، لَقَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ – رَحِمَهُمُ اللهُ– أَنَّهُمْ يَجْـتَهِدُونَ فِي إِتْقَانِ الْعَمَلِ وَإِتْمَامِهِ، ثُمَّ يَهْـتَمُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ لِقَبُولِهِ وَيَخَافُونَ

(١) سورة النساء / ١٣١ .

مِنْ رَدِّهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾(١).

عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ رَمَضَانَ مَا زَالَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ، وَأَيَّامُنَا وَلَيَالِينَا مَا زَالَتْ بِبَرَكَاتِهِ زَكِيَّةٌ، فَلا يَشْغَلَنَّكُمُ الاستِعْدَادُ لِمَا بَعْدَ شَهْرِكُمْ عَنِ استِغْلالِ مَا بَقِيَ فِيهِ مِنْ أَوقَاتِكُمْ، فَلَعَلَّ فِيهَا بَرَكَةً مُنْزَلَةً، أَوْ رَحْمَةً مُسْدَلَةً، أَوْ مَغْفِرَةً مُسْبَغَةً، إِلاَّ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ تُهْرَعُ إِلَى الأَسْوَاقِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ، تَلْبِيَةً لِمُتَطَلَّبَاتِ العِيدِ، وَتَوفِيرًا لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُهُمْ، وَهَذَا أَمْرٌ لا غِنَى لَهُمْ عَنْهُ، لَكِنْ يَجْدُرُ التَّنْبِيهُ هُنَا عَلَى أُمُورٍ يَنْبَغِي الأَخْذُ بِهَا وَمُرَاعَاتُهَا، مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَحْرِصَ الْمُسْلِمُ عَلَى وَقْتِهِ، فَأَوقَاتُ رَمَضَانَ نَفِيسَةٌ وَالحِرْصُ عَلَيْهَا غَنِيمَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَحذَرَ الْمُنْفِقُ لأَجْلِ عِيدِهِ مِنَ التَّبْذِيرِ وَالسَّرَفِ، وَمِنَ المُبَاهَاةِ وَالتَّرَفِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَهْلَكَةٌ وَخُسْرَانٌ، وَسُلُوكٌ لا يَرْضَاهُ الْمَلِكُ الْمَنَّانُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الإِسْرَافِ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾(٢)، كَمَا أَنَّ الْمُبَاهَاةَ أَمْرٌ مَقِيتٌ، وَفِعْلٌ بَغِيضٌ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخْبِرُنَا عَنْ قَارُونَ يَوْمَ خَرَجَ فِي زِينَتِهِ مُتَبَاهِيًا مُتَكَبِّرًا، أَنْ عَاقَبَهُ اللهُ تَعَالَى عِقَابًا وِفَاقًا، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(٣). كَمَا يَنْبَغِي هُنَا تَذَكُّرُ الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ، فَهُنَاكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْبِسُهُ فَقْرُهُ، وَتَمْنَعُهُ قِلَّةُ ذَاتِ يَدِهِ مِنْ تَوفِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ بَيْتِهِ لِعِيدِهِمْ مِنْ مَلْبُوسٍ وَمَطْعُومٍ، وَرُبَّمَا اضْطُرَّ أَحْيَانًا إِلَى بَذْلِ مَاءِ وَجْهِهِ طَلَبًا لِلمَعُونَةِ، وَطَرقًا لِبَابِ الْمُقْرِضِينَ، فَمَا أَجْمَلَ مَدَّ يَدِ الْعَوْنِ لأَمْثَالِ هَؤُلاءِ، خُصُوصًا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ، وَمَا أَعْظَمَ أَنْ يُفَرِّجَ الْمَرْءُ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَرْبَهُ، أَوْ أَنْ يُسَاهِمَ فِي غَرْسِ الْفَرْحَةِ فِي قُلُوبِ أَطْفَالِهِ لِيَوْمِ عِيدِهِمْ

(١) سورة المؤمنون / ٦٠ .
(٢) سورة الإسراء/ ٢٦ – ٢٧.
(٣) سورة القصص/ ٨١.

وَفَرْحَتِهِمْ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– وَاحذَرُوا مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِكُمْ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ فِي طَلَبِ الأَسْوَاقِ، وَالسَّعْيِ فِيهَا بَيْعًا وَشِرَاءً، لِنَتْرُكْ مَا لا حَاجَةَ مُلِحَّةً عَلَيْهِ، أَوْ ضَرُورَةً دَاعِيَةً إِلَيْهِ، فَإِنَّنَا هَذِهِ الأَيَّامَ فِي أَسْوَاقِ الآخِرَةِ، بِضَاعَتُهَا الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، وَثَمَنُهَا الأَجْرُ الْعَظِيمُ، وَالْخَيْرُ الْعَمِيمُ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، – فَيَا عِبَادَ اللهِ –: لَقَدْ شَرَعَ اللهُ لَكُمْ فِي خِتَامِ شَهْرِكُمْ زَكَاةَ الْفِطْرِ، شُكْرًا للهِ عَلَى نِعْمَةِ التَّوفِيقِ لِلصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَطُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَتَحْرِيكًا لِمَشَاعِرِ الأُخُوَّةِ وَالأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسلِمِينَ، جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ: (فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ)، إِنَّ مِنَ الخَطَأِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَدْفَعُوا هَذِهِ الزَّكَاةَ إِلى غَيْرِ الفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، كَأَنْ تُعْطَى لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيرًا مُحْتَاجًا؛ مُرَاعَاةً لِقَرَابَتِهِ، أَوْ حِفْظًا لِصُحْبَتِهِ، أَوْ طَمَعًا فِي نَفْعِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَقَدْ يَجْرِي تَبَادُلُهَا أَحْيَانًا بَيْنَ الْجِيرَانِ وَهُمْ لَيْسُوا لِلصَّدَقَةِ مَوْطِنًا، وَلا لِلزَّكَاةِ مَصْرِفًا، وَمَا أَحْسَنَ أَنْ يُنَسِّقَ كُلُّ حَيٍّ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ لِتَصِلَ تِلْكَ الزَّكَاةُ إِلى هَدَفِهَا، تَحْقِيقًا لِهَدْيِ المُصْطَفَى ﷺ الَّذِي يَقُولُ مُبَيِّنًا حَقَّهَا لِلفُقَرَاءِ: ((أَغْنُوهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي هَذَا اليَوْمِ))، فَمَا أَعْظَمَ غَايَتَهَا، وَمَا أَجْمَلَ ثَمَرَتَهَا، إِنَّهَا الصَّدَقَةُ الَّتِي تَزْكُو بِالْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ وَتَسْمُو بِأَخْلاقِهِ وَمَشَاعِرِهِ، فَالْمُنْفِقُ يَشْعُرُ

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

أَنَّ عَلَيْهِ حَقَّ إِطْعَامِ الْفَقِيرِ وَالْمُسَاهَمَةِ فِي رَسْمِ فَرْحَةِ الْعِيدِ فِي وُجُوهِ أَبْنَائِهِ، وَالْفَقِيرُ يَجِدُ أَنَّ الْمُجْتَمَعَ مَعَهُ يَمُدُّونَ لَهُ يَدَ الصَّدَقَةِ وَالإِطْعَامِ فِي وَقْتِ عِيدِهِ وَفَرْحَتِهِ، فَيَجْمُلُ عِيدُهُ وَتَزْدَادُ فَرْحَتُهُ، وَعِنْدَمَا تُؤَدَّى هَذِهِ الزَّكَاةُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمِيعِ؛ تَعُمُّ الْمُجْتَمَعَ قُبَيْلَ عِيدِهِ حَرَكَةٌ جَمَاعِيَّةٌ سَامِيَةٌ تُعَزِّزُ أَرْكَانَ تَمَاسُكِهِ وَوَحْدَتِهِ، وَتُقَوِّي بُنْيَانَ تَكَافُلِهِ وَأُلْفَتِهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ –، اجتَهِدُوا فِي الأَيَّامِ المُتَبَقِّيَةِ لَكُمْ مِنْ شَهْرِكُمُ الْكَرِيمِ، أَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الدُّعَاءِ وَالاستِغْفَارِ مُتَضَرِّعِينَ، فَالرَّابِحُ مَنْ خُتِمَ لَهُ شَهْرُهُ بِعَمَلٍ مَقْبُولٍ وَذَنْبٍ مَغْفُورٍ، وَالْخَاسِرُ مَنْ فَاتَهُ هَذَا الْخَيْرُ وَحُرِمَ هَذَا الْفَضْلَ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ المُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

(١) سورة الأحزاب/ ٥٦ .

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.